﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ٩٠﴾ [الأعراف: 90]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الانتقالُ منَ التّهديد العامِّ لشعيب ومَن معه، إلى توجيهِ تهديدٍ خاصٍّ للذين اتّبعوه

لمّا بيَّن عِظَمَ ضلالتهم بتكذيب شعيبٍ؛ ثنّى البيانَ بأنّهم لم يقتصروا على ذلك، حتى أضلّوا غيرَهم، ولاموهم على متابعتِه، فقال كبراؤهم لأتباعهم – تثبيطًا عنِ الإيمان –: لئن اتّبعتم شعيبًا إنكم إذًا لخاسرون[1]؛ لينتقلوا منَ التّهديد العامّ لشعيب ﷺ ومن معه إلى تخصيص الذين اتّبعوه بتهديدٍ خاصٍّ، وواضحٌ أنه للمؤمنين الذين آمنوا باللّه تعالى استجابةً لدعوة شعيب ليستغلّوا ضعفَهم، وهمُ الكبراء، مؤكّدين خسارتَهم بسبب اتّباعِهم لشعيب[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱتَّبَعۡتُمۡ﴾: "التاء والباء والعين أصلٌ واحدٌ لا يشذُّ عنه من البابِ شيءٌ، وهو التُّلُوُّ، والقَفْوُ. يقال: تَبِعْتُ فلانًا؛ إذا تَلَوْتُهُ، واتَّبَعْتُهُ، وأَتْبَعْتُهُ؛ إذا لَحِقْتُهُ"[3]، فالتّابعُ: التّالي. والتَّتَبُّعُ: فعلُك شيئًا بعد شيءٍ، تقول: تتّبعتُ علمَه، أي: اتّبعتُ آثاره[4]. والاتّباعُ: أن يسيرَ الرجلُ، وأنت تسيرُ وراءَهُ[5]، أي: تقتفي أثَرَهُ، ويكون تارةً بالجسم، وتارةً بالارتسام والائتمار[6]، وكثير منَ المعاني التي ذُكرت مرادةٌ في اللّفظة مناطِ الشّرح، فأصحابُ شعيبٍ، تَلَوْهُ، ولحقوه، وائْتمروا بأمْرِهِ نصرةً وتأييدًا.

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/319، وأبو حيّان، البحر المحيط: 5/115.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 6/2900.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (تبع).
(4) الخليل، العين: (تبع).
(5) الأزهري، التهذيب: (تبع).
(6) الراغب، المفردات: (تبع).

2) ﴿لَّخَٰسِرُونَ﴾: "الخاء والسّين والراءُ أصلٌ واحد يدلُّ على النّقص"[1]، والخُسران: النّقصانُ، والضَّلالُ، والهَلَكَةُ، والإبعادُ منَ الخير[2]، وقد يكون الخُسرانُ متعلّقًا بالمُقتنيات الدّنيويةِ والتّجارات البشريّةِ، وقد يكونُ متعلّقًا بالمقتنيات النّفسيّةِ كالصّحة، والسّلامة، والعقلِ والإيمانِ، والثّوابِ، وهو الذي جعله اللّه تعالى الخُسرانَ المُبينَ، وكلُّ خسران ذكره اللّه تعالى في القرآن الكريم؛ فهو على هذا المعنى الأخير[3]، ومنه لفظُ الآية الكريمة فخسرانُهم عقوبةٌ، وهلكةٌ لأنفسهم؛ لسوء تصرّفِهم بأنْعُم اللّه عليهم، وقد يرادُ به تهديدُهم بخسرانهم متعلّقاتِهم الدّنيويّةَ.

❁ المعنى الإجْماليُّ:

إصـــرارُ كـبراء القوم على غَيّهم بعدَ يأْسِهم من مطاوعة أتباع شعيبٍ عليه السلام لهم

بعدَ أنْ وجد قومُ شعيبٍ حُجَّتَهُ ساطعةً، ودليلَهُ دامغًا - ولم يستطيعوا مجاراتَهُ في المجادلة، وأيقنوا ثباتَ مَن حولَه معه على دينهم - أصرّوا على كفرهم وإعراضِهم بالتَّوَجُّهِ إلى خطاب عامّة الحاضرين من قومِهم، الباقين على الكفر؛ تحذيرًا لهم من اتّباع شعيبٍ عليه السلام وتنفيرًا لهم وتثبيطًا عنِ الإيمان به؛ خشيةَ أن تحيكَ في نفوسهم سلامةُ دعوته، وصدقُ رسالته، وصفاءُ نصيحتِهِ[4]، فيطاوِعوه، ويهتدوا، وفي خطابهم تهديدٌ، ووعيدٌ، استمرَؤوه ليؤكّدوا طبيعةَ الاستكبار فيهم، ويُثبتوا ضعفَ حُجَّتهم، وتهافتَ أدلتهم.

وترشدُ الآيةُ إلى ذمِّ المُصِرّينَ على كُفْرِهم، الصّامّينَ آذانَهم عن قَوْلةِ الهدايةِ والحقِّ المبين.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خسر).
(2) الخليل، العين، والفيروزابادي، القاموس المحيط، والزبيدي، تاج العروس: (خسر).
(3) الراغب، المفردات: (خسر).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/12.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

سرُّ وصْلِ الآية بما قبْلَها:

انتهاءُ المحاورةِ قَمِنٌ بالفصل

عُطِفَتْ جُمْلَةُ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، ولَمْ تُفْصَل كَما فُصِلَتِ الَّتي قَبْلَها؛ لِانْتِهاءِ المُحاوَرَةِ المُقْتَضيَةِ فصْلَ الجُمَلِ في حِكايَةِ المُحاوَرَةِ[1]، ولاختلاف الجهة المرادة بالحديث، فهم قوم المتكلّم ومشايعوه وأتباعه ودهماء العامّة الذين معه.

نكتةُ التّعريف بالموصول:

زِيادَةُ ذَمِّ المَلَأِ بِوَصْفِ الكُفْرِ مقْصدٌ يناسبُ صنيعَهم

تعريفُ المَلَأ في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالمَوْصولِ وصِلَتِهِ وصفًا دونَ أنْ يَكْتَفيَ بِحَرْفِ التَّعْريفِ العهدي المُقْتَضي التّخصيصَ والكمالَ في هذا الوصف - إيذانٌ بأنَّ المَلَأ الثّانيَ هو المَلَأُ المَذْكورُ قَبْلَهُ؛ لِقَصْدِ زيادَةِ ذَمِّ المَلَأ بِوَصْفِ الكُفْرِ، وتحقيرِهم كَما ذُمَّ فيما سَبَقَ بِوَصْفِ الاسْتِكْبارِ وحُقِّروا[2].

سِرُّ الوصفِ بالكفر دون غيرِه:

تعدُّدُ الأوصاف، للإحاطة بِسَيِّئِ الخِصال، وتَفْصيلِ الصّورةِ للمعتَبِر

ووَصْفُ المَلَأ بِالكُفْرِ لِمُناسَبَةِ الكَلامِ المَحْكيِّ عَنْهم، الدّالِّ على تَصَلُّبِهِمْ في كُفْرِهِمْ، كَما وُصِفوا في الآيَةِ السّابِقَةِ بِالاسْتِكْبارِ لِمُناسَبَةِ حالِ مُجادَلَتِهِمْ شُعَيْبًا، كَما تَقَدَّمَ، فحَصَلَ مِنَ الآيَتَيْنِ أنَّهم مُسْتَكْبِرونَ كافِرونَ[3].

بلاغةُ صِيغة الافتعال في فعل الاتّباع:

تهديدُ الملأِ لأتباع شعيب، وإصرارهم على زحزحتهم عن إيمانهم

المُخاطَبُ في قَوْلِهِ: ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾ هُمُ الحاضِرونَ حينَ الخِطابِ لَدى المَلَأ، فحُكِيَ كَلامُ المَلَأ كَما صَدَرَ مِنهم، والسّياقُ يُفَسِّرُ المَعْنِيّينَ بِالخِطابِ، أعْني عامَّةَ قَوْمِ شُعَيْبٍ الباقينَ على الكُفْرِ[4]، ويناسبُ وعيدَهم وقوّةَ تهديدِهم، وإصرارَهم على ذلك

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/12.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/12.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/12.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/13.

الإتيانُ بالفعل متعدّيًا بالهمزة مضعَّفًا بصيغة الافتعال: ﴿ٱتَّبَعۡتُمۡ﴾؛ للمبالغة، وشدّةِ التّكلّف؛ لدلالة بعض معانيه على الاتّخاذ، والمطاوعةِ، تلميحًا إلى عدم اتّخاذِه نبيًّا، وعدمِ مطاوعتِه إلى دعوته.

بلاغةُ حشْدِ المؤكِّدات:

تحشيدُ المؤكّدات يناسبُ شدّةَ القسَم ويُمهّدُ للعقوبة

المؤكِّداتُ: اللّامُ في ﴿لَئِنِ﴾ موطِئَةٌ للقسَم، و﴿إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾ جَوابُ القَسَم، وهو دَليلٌ على جَوابِ الشَّرْطِ المَحْذوفِ، كَما هو الشَّأْنُ في مِثْلِ هَذا التَّرْكيبِ، وهو جوابٌ حُشِّدتْ فيه المؤكِّدات؛ ليناسب شدّةَ القسَم، ويُمهّدَ لما سيأتي بعدها من عقوبة، وتصدّرت (إنّ) المُؤكّداتِ، ثم أُتْبعتْ بـ (إذًا)؛ لإفادة توكيدِ الوعدِ[1].

علّة التّعْبير بـ ﴿إِذٗا﴾:

رَهْنُ الخَسارَةِ باتِّباعِ النَّبيِّ تَلَهُّفٌ لِلغَلَبَةِ عَلَيْهِ

أُتْبع (إنّ) بـ ﴿إِذٗا﴾ الدّالّةِ على الجواب والجزاء؛ لتوكيد الوعد، وقوّتِه، وربطِ خسارتِهم بعدم الاتِّباع؛ ذلك أنّ ذكرَ ﴿إِذٗا﴾ يدلُّ على أنّ ما بعدها مشروطٌ حصولُه بحصول ما قبْلَها، وفيه إيحاءٌ بلهفتِهم للغلبة على شعيب ﷺ، فضلًا عن أنّ مقامَ التّحدّي، وشدّةَ المواجهة تقتضي ذكرَها[2].

علّةُ التّعْبير عنِ الخسارة باسْمِ الفاعل:

من كذّبَ الرُّسلَ فخسرانُه مُتحقّقٌ لا محالةَ

وجاء بلفظ الخسارة بالصّيغةِ الاسميّةِ على هيئة اسمِ الفاعل ليدلَّ على أنّ الخسرانَ قد حصَلَ وتمَّ، وثبتَ وصفًا لهم حصولًا مستقرًّا ثابتَ الوقوع لا محالةَ، ولقَصْد الدّلالةِ على الحدوثِ في الحال[3]، ولذلك أعقبَها بالعقوبةِ مباشرةً في مُفتتح الآية بعدها دون مُهلةٍ، أوِ انتظارٍ، مؤكِّدًا إياها باللّام لمزيد دلالةٍ على تحقّقِ الخُسران، وحَتْميَّةِ وقوعه، وأنَّ هذا التّعبيرَ يدلُّ على أنّ الخسارة

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 4/279.
(2) السامرائي، التعبير القرآني، ص: 294 - 295.
(3) فاضل السامرائي، معاني الأبنية في العربية، ص: 41 - 44.

هي حالةٌ دائمةٌ ومستمرّةٌ لهؤلاء المكذّبين، فهم خاسرون في الدّنيا والآخرة.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الكفر، والشِّرْك:

الكفر: اسمٌ جامعٌ لعديد الذّنوب، وهو يقعُ على ضروبٍ منه، والكافر الجاحدُ لأنعُم الله التي لا تُحصى، وهو على الإطلاق متعارفٌ فيمن يجحدُ الوحدانيّةَ، أوِ النّبوّةَ، أوِ الشّريعةَ، أو ثلاثتَها، وقد يقال: كفرَ لمن أخلّ بالشريعة، وترك ما لزمَه من شكْرِ الله[1].

الـكـفـرُ جـحـدٌ لـلـوحـدانـيّـةِ، والـرِّسَـالـةِ، والـرَّسـولِ، فهو وصـفٌ أعـمُّ منَ الشِّرْك

في حين أنَّ الشِّرْك: إثباتُ شريكٍ لله، وذلك أعظمُ كُفْرٍ، أو مراعاةُ غيرِ الله في بعض الأمور فيما يُتَعبَّدُ به، أوِ التّسويةُ بين الله الخالق وبين أيِّ مَخْلوق غيرِه[2]، فهو: ضربٌ واحد منَ الذّنوب على عِظَم شأنه، وفداحةِ وصفِه؛ لذا فهو أخصُّ، ومن هنا فاختيارُ لفظِ الكافرين الدّالِّ على العموم يناسبُ سياقَ الآية المباركة من حيث إنّ الكافرين المُستكبرين المُتعنّتين جاحدون للوحدانيّةِ، والرِّسالةِ، والرّسولِ؛ فناسبَهمُ اللّفظُ الأعمُّ؛ إذ يصدقُ الكفرُ عليهم بجحود واحدٍ من أمور الإيمان كلّها.

(1) الراغب، المفردات: (كفر).
(2) الراغب، المفردات: (شرك).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»